مجلة العلوم السياسيّة

اسم المقال: بصمات الذاكرة التاريخية في الحياة الوطنية العراقية
اسم الكاتب: أ.د. رياض عزيز هادي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/169
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 06:24 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة العلوم السياسيّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

بصمات الذاكرة التاريخية في الحياة الوطنية العراقية

أ. د. رياض عزيز هادي

مساعد رئيس جامعة بغداد للشؤون العلمية

عميد كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد/سابقاً

هدف الدراسة: تسليط الضوء على بعض المحطات الأساسية في الذاكرة التاريخية للعراق المعاصر. وبشكل خاص خلال النصف الأول من القرن العشرين، وبيان أهم الجوانب الإيجابية في هذه الذاكرة، والتي رفدت عملية بناء أسس الهوية والوحدة الوطنية العراقية، وفي التعبير عن احترام قيم التنوع والتسامح والحوار في هذا المجتمع رغم وجود العديد من الصعوبات والعقبات التي اكتنفت تشكيل هذه الذاكرة.

أولاً: في الحياة السياسية

كانت هنالك إرهاصات وشواهد مبكرة للوعي والتلاحم الوطني بين أبناء الرافدين وقبل قيام الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١. ولقد تجسد ذلك على سبيل المثال في بدايات القرن العشرين مع الحركة المشروطية (الدستورية) عام ١٩٠٨ في الدولة العثمانية، والتي كان العراق جزءاً منها حيث كان العديد من مدن العراق ميداناً لها وكانت بأصدائها وانعكاساتها تمثل بداية حقبة جديدة في التفكير العراقي إذ أن الحركة فتحت الأذهان على قيم وصيغ جديدة وشجعت وحفزت نخباً مختلفة من ذوي التطلعات التجديدية أمثال معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي ومحمد رضا الشبيبي ومحمد باقر الشبيبي ومحمد حبيب العبيدي وعبد الحسين الأزري وكاظم الدجيلي وخيري الهنداوي إذ جاء شعرهم طافحاً بالحرية والتغني بمحاسنها والتطرق إلى مساوئ الاستبداد والحكم المطلق والطغيان. وشهدت الصحافة في العراق أيضا نقلة نوعية إذ لم يكن فيه قبل المشروطية إلا ثلاث صحف رسمية هي الزوراء وجريدة الموصل وجريدة البصرة.. ومع الحركة المشروطية صدرت سلسلة من الصحف والمجلات بلغ عددها حوالي (٧٠) صحيفة وعشرين مجلة بعد زوال الرقابة على الصحافة. وتعد كلاً من مجلة "العلم" التي أصدرها هبة الدين الشهرستاني عام ١٩١٠

ومجلة "لغة العرب" التي أصدرها لأب أنستاس ماري الكرملي (١٨٦٦–١٩٤٧) عام ١٩١١ أنموذجين للانفتاح العراقي الجديد والاهتمام بالفكر والثقافة والهوية الوطنية والمجتمع العراقي. فقد اهتمت مجلة (العلم) بالمعارف والعلوم الحديثة في حين اهتمت مجلة (لغة العرب) باللغة ودراسة القوميات والمكونات الاجتماعية في العراق ودراسة العادات والتقاليد العراقية والتعريف بكل ما يتعلق بالعراق من مناطق ولهجات وشخصيات وجذبت في حينها الكثير من الأقلام العراقية المثقفة أمثال معروف الرصافي ويوسف غنيمة ومحمد بهجت الأثري وحنا خياط ومحمد مهدي الجواهري ورفائيل بطي...إلخ.

وبعد الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤، شهدت الساحة العراقية حركة واسعة لمقاومة الاحتلال والتنديد به بوسائل متعددة.. فكانت حركة الجهاد ضد الانكليز والتي تجسدت بمعركة الشعيبة في جنوبي العراق أنموذجا للتلاحم الوطني العراقي المرتكز إلى المشاعر الوطنية والدينية إذ شارك في هذه المعركة رجال دين أمثال السيد محمد سعيد الحبوبي (١٨٥٠–١٩١٥) العالم والشاعر النجفي المعروف وعشائر وسط العراق وجنوبه ومجاميع من رجال الكرد المجاهدين على رأسهم كاكا أحمد. وشهدت الساحة الأدبية العراقية نشاطاً واسعاً أيضا للتنديد بالاحتلال البريطاني إذ شارك شعراء كبار في نظم وإلقاء القصائد الوطنية المناهضة للاحتلال وذلك في احتفالات جماهيرية واسعة ومنهم محمد مهدي البصير وتوفيق المختار وعثمان الموصلي وعبد الرحمن البناء ومحمد عبد الحسين ومحمد حبيب العبيدي وغيرهم. وانتظم رجال الحركة الوطنية العراقية في جمعيات مناهضة للاحتلال منها جمعية حرس الاستقلال التي أسسها في بغداد عام ١٩١٩ نخبة من مثقفي بغداد بينهم السيد محمد الصدر وعلي البزركان ومحمود رامز وجلال بابان ومحمد باقر الشبيبي وفتحت لها فروعاً في المدن العراقية. وصدرت أيضا صحف ومجلات وطنية مثل مجلة اللسان (١٩١٩) والفرات والاستقلال (١٩٢٠) ومن كتّابها العاملين في الحركة الوطنية أحمد عزت الأعظمي وعبد الغفور البدري ومحمد حسين الكاظمي ومحمد باقر الشبيبي. ويرى العديد من الكتّاب والمحللين أن هذا التلاحم الوطني الذي عرفه

العراق وسبق اندلاع ثورة العشرين كان عاملاً أساسياً في نشأة المجتمع الوطني العراقي الحديث.

وحينما قامت ثورة العشرين في ٣٠ حزيران ،١٩٢٠ والتي كانت شرارتها الأولى في مدينة الرميثة جنوب العراق، سرعان ما امتد نشاطها إلى مناطق العراق كلها فكانت بحق كما أسماها المؤرخون بالثورة العراقية الكبرى. وشارك في هذه الثورة المثقفون ورجال الدين وأبناء العشائر والمدن ومن مختلف فئات الشعب العراقي، وكان يجمعهم هدف واحد هو إنهاء الاحتلال البريطاني وتحقيق الاستقلال للعراق. لذلك كله أصبحت ثورة العشرين جزءاً من الأسطورة المؤسسة للهوية الوطنية العراقية، مهما كانت تلك الفكرة بعيدة عن أذهان معظم المشاركين فيها في ذلك الحين على حد قول تشارلز تريب في كتابه "صفحات من تاريخ العراق الحديث". وانطلاقا من ثورة العشرين تبلورت حركة وطنية عراقية اعتمدت نهجاً سياسياً تعددياً من الناحية الإثنية وتمثل ذلك بأحداث وطنية مهمة كإضراب عام ١٩٣١ ووثبة عام ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث وانتفاضة عام ١٩٥٢وتشكيل الجبهة الوطنية لخوض الانتخابات النيابية لعام ١٩٥٤ وانتفاضة عام ١٩٥٦ وقيام جبهة الإتحاد الوطني التي تشكلت عام ١٩٥٧ والتي عدت مقدمة للإطاحة بالنظام الملكي وقيام الجمهورية في ١٤ تموز ١٩٥٨.

ثانياً: المجتمع المدني

شهد النصف الأول من القرن العشرين نشوء مجتمع مدني عراقي حديث تمثل بظهور الأحزاب والنقابات والجمعيات والنوادي وأسهم في تطوير سلوك تشاركي نخبوي وشعبي متجاوزاً الانتماءات المناطقية والإثنية معتمداً الانتماء الوطني كأساس أول في الأهداف والنشاطات. فمنذ صدور قانون الجمعيات عام ١٩٢٢ ظهرت الأحزاب السياسية العراقية في ظل الدولة العراقية الفتية.. ومن أوائل هذه الأحزاب كان الحزب الوطني العراقي الذي تأسس في ٣ آب ١٩٢٢ وضم في صفوفه أعضاءً ساهموا في ثورة العشرين تحت لواء جمعيتي حرس الاستقلال والعهد. وتألفت اللجنة

القيادية للحزب من محمد جعفر أبو التمن والشيخ أحمد الداود وبهجت زينل ومولود مخلص وعبد الغفور البدري ومحمد مهدي البصير وحمدي الباجه جي وكان للحزب هدفان أساسيان: هما تحقيق الاستقلال الناجز للعراق ووحدة أبنائه وتتمثل أهمية الحزب الوطني العراقي بقيادة الزعيم الوطني محمد جعفر أبو التمن له وبقاعدته الشعبية الواسعة التي شملت مناطق العراق كلها فضلاً عن كونه محفزاً ومصدراً لنشوء تنظيمات نقابية وتيارات سياسية وحزبية مثل تأسيس جمعية أصحاب الصنائع عام ١٩٢٩ بقيادة محمد صالح القزاز كأول تنظيم نقابي عراقي حديث شارك في الحركة الوطنية وساهم في تطوير الحركة النقابية العراقية. ويشير المحللون إلى أن الحزب الوطني العراقي كان النبع الذي انبثقت منه ثلاثة تيارات سياسية شكلت المعارضة الوطنية في المستقبل والمتمثلة بالتيار الوطني الذي تجسد بجماعة الأهالي التي ركزت على النزعة الوطنية والولاء للعراق والإصلاح الاجتماعي بعد صدور جريدة الأهالي عام ١٩٣١ وتأسيس الحزب الوطني الديمقراطي عام ١٩٤٦. والتيار الإصلاحي القومي والمتمثل بنادي المثنى (١٩٣٥) وحزب الاستقلال عام ١٩٤٦ ثم التيار الثوري اليساري الذي تمثل بلجنة مكافحة الاستعمار وتأسيس الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٣٤.

وتجسد النهج والسلوك التشاركي الوطني في النوادي التي نشأت منذ الحرب العالمية الأولى ومنها النادي الأدبي (١٩١٦) والنادي العلمي (١٩١٩) وكلاهما في مدينة الموصل ونادي الإصلاح في بغداد (١٩٢٠) ونادي النهضة النسائية الذي أسس عام ١٩٢٣ وهو أول نادي للنساء العراقيات ومن ابرز عناصره أسماء صدقي الزهاوي وحسيبة جعفر وبولينا حسون وماري عبد المسيح وزير. ونشأت مجموعة من النوادي في ثلاثينيات القرن المنصرم وعلى الأسس الوطنية نفسها منها نادي بغداد (١٩٣٣) ومن أبرز مؤسسيه عبد الفتاح إبراهيم، وكان وراء تأسيس جماعة الأهالي المعروفة. وأسس نادي العلم عام ١٩٣٤ وكان يرأسه الشاعر جميل صدقي الزهاوي والدكتور محمد فاضل الجمالي نائب له والدكتور متي عقراوي أميناً للصندوق وإبراهيم حلمي العلمي أميناً للسر. وعند وفاة الشاعر الزهاوي عام ١٩٣٦ خلفه في رئاسة

النادي الشيخ محمد رضا الشبيبي وكان من أبرز أعضاء هذا النادي رفائيل بطي وعباس العزاوي وعبد المسيح وزير وناجي معروف وإبراهيم عطار باش ولا بد من الإشارة إلى نادي المهلب الذي أسس في مدينة البصرة عام ١٩٣٧. ونشأت الجمعيات والنقابات الحديثة في العراق على الأسس الوطنية التشاركية نفسها وهي جمعية النهضة الإسلامية في النجف عام(١٩١٨) وجمعية الكشافة العراقية (١٩١٩) والجمعية الطبية العراقية (١٩٢١) وجمعية الشباب (كومالاوان) ١٩٣٠ وجمعية تشجيع المنتجات الوطنية العراقية (١٩٣١) وجمعية الطيران العراقية (١٩٣٣) ونقابة المحامين العراقيين (١٩٣٣) وجمعية مشروع الفلس (١٩٣٣) وجمعية الجوال (١٩٣٤) وجمعية النشء العراقي (١٩٣٥) وكانت أهدافها تقوية الروابط بين العراقيين والعمل على بناء العراق وجمعية الإصلاح الشعبي (١٩٣٦) وكان من أبرز قادتها محمد جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي ويوسف عز الدين وناجي الأصيل وعبد القادر إسماعيل والزعيم العمالي محمد صالح القزاز وصادق كمونه ومكي الجميل. وجمعية مكافحة العلل الاجتماعية التي أسست عام ١٩٣٧ ومن أبرز مؤسساتها السيدات سارة الجمالي ومرضية الباجه جي وحسيبة الجيبه جي ورشدية الجلبي وفتوح الدبوني وشهبال فاضل وآسيا توفيق وهبي وعائشة خوندة. وكان لهذه الجمعية ولنادي النهضة النسائية السالف الذكر دور في تنشيط الحركة النسوية العراقية ومهد ذلك لقيام الإتحاد النسائي العراقي عام ١٩٤٥. وتأسست أول جمعية رياضية عام ١٩٢٤ باسم جمعية إتحاد كرة القدم إشارة إلى انطلاق الحركة الرياضية العراقية الحديثة تجسدت برسم سياسة تربوية عام ١٩٣٠ وإنشاء معهد التربية البدنية عام ١٩٣٨ وتشكيل لجنة أولمبية عراقية شاركت في الدورة الأولمبية التي أقيمت في لندن عام ١٩٤٨. وكان للانتصارات التي حققها أبطال الرياضة العراقية في الخمسينات كأبطال كرة القدم والسباح علاء الدين النواب وبطل رفع الأثقال عبد الواحد عزيز أصداء وطنية كبيرة.

ثالثاً: الحياة العلمية

كان للحركة العلمية الحديثة في العراق دور في ظهور المؤسسات والمدارس الوطنية العراقية وفي دعم عملية الانفتاح الفكري والثقافي على العالم، وتمثل ذلك بإنشاء المدارس والكليات الحديثة منذ مطلع القرن العشرين. إذ تأسست كلية الحقوق العراقية عام ١٩٠٨ وتبعها إنشاء كلية الهندسة عام ١٩٢٠ ودار المعلمين العالية عام ١٩٢٣ وكلية الطب عام ١٩٢٧ وكلية الصيدلة عام ١٩٣٦ وكلية التجارة عام ١٩٤٦ وكلية الملكة عالية للبنات عام ١٩٤٦ ومتحف التاريخ الطبيعي عام ١٩٤٦ وكلية الآداب وكلية العلوم عام ١٩٤٩ وكلية الزراعة عام ١٩٥٢ وكلية طب الأسنان عام ١٩٥٣ وكلية الطب البيطري عام ١٩٥٥ وكلية التربية الرياضية عام ١٩٥٥ ثم تأسيس جامعة بغداد عام ١٩٥٧ لتضم هذه الكليات وكليات أخرى أنشأت بعد هذا التاريخ وليكون أول رئيس لهذه الجامعة الأستاذ الدكتور متي عقراوي.

١. المدرسة التاريخية العراقية الحديثة

ظهرت المدرسة التاريخية العراقية الحديثة وتبلورت ملامحها في العشرينات من القرن الماضي وارتكزت في دراساتها وبحوثها عن العراق على الأسس الوطنية والمعايير العلمية. فسعى رواد هذه المدرسة إلى توثيق تاريخ العراق القديم والحديث لتعريف أبناء العراق بحضارات بلادهم وتأريخها وتنمية روح الاعتزاز بها. وصدرت العديد من الكتب في هذا الاتجاه نشير إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب تاريخ القضية العراقية لمحمد مهدي البصير عام (١٩٢٤)، كتاب تاريخ الوزارات العراقية (عشرة أجزاء) (١٩٣٣)، كتاب أثر قديم في العراق لميخائيل عواد (١٩٣٤)، كتب عبد الرزاق الحسيني وهي: تاريخ الصحافة العراقية (١٩٣٥)، العراق في دوري الاحتلال والانتداب (١٩٣٥)، كتاب الثورة العراقية الكبرى (١٩٣٦)، كتاب العراق الحديث للدكتور متي عقراوي (١٩٣٦)، كتاب مقدمة في تاريخ العراق الاقتصادي لهاشم جواد (١٩٣٦)، كتاب النظام النقدي في العراق لعبد الرحمن الجليلي (١٩٣٦)، كتاب العراق بين احتلالين لعباس العزاوي (١٩٣٥)، كتاب جغرافية العراق لطه الهاشمي (١٩٣٦). وبإمكاننا أن نعد كل من عبد الرزاق الحسني

(١٩٠٣– ١٩٩٧) وعباس العزاوي من أبرز رواد المدرسة التاريخية العراقية الحديثة والمعاصرة وأكثر الكتاب غزارة وإنتاجاً في الكتابة عن العراق آنذاك.

٢. المدرسة الآثارية العراقية الحديثة

تؤشر ولادة المدرسة الآثارية العراقية الحديثة بإنشاء المتحف العراقي عام ١٩٢٣ ثم تأسيس مديرية الآثار والتي كان يجتمع فيها نخبة من كبار الآثاريين والعلماء من أمثال الدكتور طه باقر وفؤاد سفر والدكتور مصطفى جواد وناصر النقشبندي وكوركيس عواد وبشير فرنسيس والدكتور فرج بصمجي. وكان لهذه النخبة الفضل في تأسيس المدرسة الآثارية العراقية، إذ كانت التنقيبات والفعاليات الآثارية تجري حتى ذلك الوقت على أيدي الآثاريين الأجانب. وبدأت هذه النخبة الآثارية العراقية بالحفريات الآثرية وبأيد عراقية في معظم مناطق العراق ومنها الموصل والاخيضر وسامراء وواسط وغيرها. وفي العام ١٩٤٥ أسس الدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار العام آنذاك مجلة سومر التي سرعان ما نالت سمعة وشهرة عالمية وهي مجلة علمية تبحث في آثار العراق القديمة وتصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق وكان يشارك في تحريرها والكتابة فيها خيرة الآثاريين والكتاب العراقيين مثل الدكتور مصطفى جواد والدكتور طه باقر والدكتور فرج بصمجي وفؤاد سفر وبشير فرنسيس. وراسل مجلة سومر أساتذة كبار مثل البروفسور البريطاني المعروف هـ. جب والدكتور ولسن مدير المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو والبروفسور هرزفلد عالم الآثار القديم والمفكر الفرنسي مكسيم رودنسون الذي زار بغداد عام ١٩٤٤ وكتب في الجزء الأول من العدد الثاني لمجلة سومر والصادر في كانون الثاني ١٩٤٦ حينما كان عضواً في البعثة الآثارية الفرنسية الدائمة في بيروت. ويعد الدكتور طه باقر(١٩١٢–١٩٨٤) من أبرز مؤسسي المدرسة الآثارية العراقية. وقد تخرج الدكتور طه باقر من جامعة شيكاغو في الآثار عام ١٩٣٨ وعمل في مديرية الآثار القديمة عند عودته إلى العراق بعد إنهاء دراسته هناك وأصبح أميناً للمتحف العراقي للمدة (١٩٤١–١٩٥١) وهو أول اثاري عراقي يتولى هذا الموقع ثم أصبح معاونا لمدير الآثار العام (١٩٥١–

١٩٥٨) ثم مفتشا للآثار العام ١٩٥٨ ثم مديرا عاما للآثار (١٩٥٨-١٩٦٣). وكان الدكتور طه باقر عضوا في هيئة تحرير مجلة سومر السالفة الذكر منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ وقام بالتدريس في دار المعلمين العالية وكلية الآداب في جامعة بغداد، وأصبح نائباً لرئيس جامعة بغداد (١٩٥٩-١٩٦٠) وعضوا في المجمع العلمي العراقي(١٩٧١) : ومن ابرز مؤلفاته في الآثار مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة عام ١٩٥١، وملحمة كلكامش عام ١٩٦٢، وطبعة ثانية عام ١٩٧١ وطبعة ثالثة عام ١٩٧٥، والمرشد إلى مواطن الآثار والحضارة (١٩٦٢)، ومقدمة في أدب العراق القديم (١٩٧٦)، وترجم عن الانكليزية كتاب آرنولد توينبي دراسة في التاريخ عام ١٩٥٥، وكتاب ألواح سومر لصموئيل كريمر عام ١٩٥٦، وكتاب ستين لويد الرافدين بالاشتراك مع مفتش الآثار آنذاك بشير فرنسيس عام ١٩٤٣. وقام الدكتور طه باقر بالتنقيبات في موقع عكركوف وهو الموقع الذي يمثل العاصمة الأولى في التاريخ التي شيدت بالقرب من نهر دجلة كما كانت للدكتور طه باقر العديد من البحوث والمقالات عن العراق القديم وحضارات وادي الرافدين نشرتها مجلة المجمع العلمي العراقي. وكانت مكتبة المتحف العراقي آنذاك بمثابة منتدى للآثاريين والعلماء العراقيين، وفي هذا يقول الأستاذ سالم الالوسي: كنا كل يوم خميس، وهو يوم عطلة المتاحف، نذهب إلى المكتبة الخاصة بالمتحف العراقي والتي كانت تعد من المكتبات المهمة العامرة والغنية بكتبها ومصادرها التاريخية والآثارية. وكان يتولى إدارة المكتبة الأستاذ كوركيس عواد. وفي الوقت ذاته كانت المكتبة موئلاً وملجأ مثابة للأدباء والشعراء والمؤرخين والباحثين في التاريخ وكان ممن يتردد عليها الدكتور طه باقر وفؤاد سفر وصادق كمونة وعباس العزاوي والشيخ محمد بهجت الأثري والشيخ جلال الحنفي والدكتور فؤاد عباس واحمد حامد الصراف وغيرهم..

إن الاهتمام بالتراث الوطني الآثاري العراقي كان جزءاً من عملية الوعي بالهوية والثقافة الوطنية العراقية لهذه المؤسسات وهؤلاء الرواد، وعلى سبيل المثال حينما تولى الدكتور مصطفى جواد تدريس الملك فيصل الثاني ملك العراق آنذاك اللغة العربية في المرحلة الابتدائية بين عامي (١٩٤٢-١٩٤٨)، كان يأتي ببعض

الأمثلة والشواهد التاريخية والخاصة بتاريخ العراق وكان يرغبه ويشجعه على زيارة الآثار العراقية. واستجاب الملك لهذه الرغبة وفعلاً قام بزيارة المتحف العراقي في السادس من كانون الأول ١٩٤٥، ثم قام بزيارة إلى دار الآثار العربية في خان مرجان يوم ١٣ كانون الأول ١٩٤٥، حيث كان في استقباله الدكتور ناجي الأصيل مدير الآثار العام والدكتور طه باقر أمين المتحف العراقي والدكتور مصطفى جواد، ورافق الملك فيصل الثاني في هذه الزيارة الأمير رعد بن زيد من الأسرة الهاشمية وهو اليوم كبير مستشاري الملك عبد الله الثاني ملك الأردن.

٣. المدرسة الوثائقية العراقية

كان العراقيون في العهود السومرية والأكدية والآشورية أول من انشأ الوثائق، فآشور بانيبال الملك الآشوري الذي حكم في الأعوام (٦٦٨-٦٢٦ ق. م)، انشأ مكتبة كانت بمثابة أرشيف للإمبراطورية الآشورية، أطلق عليها المؤرخ العراقي كوركيس عواد اسم الخزانة النينوية. وكانت هنالك خزائن أخرى أيضا للوثائق في العصور اللاحقة كخزانة الحكمة في عهد الخليفة هارون الرشيد وخزانة دير متي في شمال الموصل وخزانة الوقف في البصرة. وكان إنشاء مكتبة دار السلام في شهر نيسان من عام ١٩٢٠ تيمناً باسم العاصمة بغداد البداية لانبثاق المدرسة الوثائقية العراقية الحديثة. واعتمدت هذه المكتبة في تأسيسها على تبرعات الكتاب والأدباء ودور النشر وكان يديرها العلامة الأب أنستاس ماري الكرملي، وأصبح اسمها المكتبة العامة بعد أن غدت مكتبة رسمية في عام ١٩٢٤ ثم صدر بها قانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦١، وكانت تضم أكثر من مليون مجلد، وزودت بجميع الكتب التي تصدرها وزارات الثقافة والإعلام والأوقاف ودور النشر الرسمية والأهلية. وبذلت نخبة من الأكاديميين المؤرخين العراقيين جهوداً مشهودة في تطوير المدرسة الوثائقية العراقية الحديثة ممثلة بالأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد الأسبق، والدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق، والدكتور إبراهيم شوكت والدكتور ياسين عبد الكريم الذين أقنعوا الدولة العراقية بإنشاء المركز الوطني لحفظ الوثائق في

ستينات القرن الماضي. وتأسس في عام ١٩٧٢ فرع للمجلس الدولي للوثائق في العراق ثم صدرت مجلة الوثائق في العراق بلغات أربعة عام ١٩٧٣، وتم في عام ١٩٨٧ دمج المركز الوطني للوثائق بالمكتبة الوطنية، وأصبح أسمها دار الكتب والوثائق.

٤. المجمع العلمي العراقي

يعد إنشاء المجمع العلمي العراقي عام ١٩٤٧ (وهو هيئة علمية وطنية يناظر في مهامه ونشاطاته الأكاديمية الفرنسية) نقطة مضيئة في التاريخ العراقي المعاصر. وكان من أبرز مؤسسي المجمع العلمي وشخصياته الشيخ محمد رضا الشبيبي (١٨٨٩-١٩٦٥) وكان أول رئيس لهذا المجمع والدكتور منير القاضي والدكتور مصطفى جواد وشريف عسيران ومحي الدين يوسف والدكتور جواد علي والدكتور احمد سوسة والدكتور احمد ناجي القيسي والشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد بهجت الأثري. وكان المجمع العلمي العراقي بمثابة منتدى علمي وثقافي حاضر فيه عدد من الشخصيات الأجنبية في مقدمتهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون والبرفسور غيوم والمستشرق ج. أندرسون ومن الشخصيات العراقية الدكتور متي عقراوي والدكتور هاشم الوتري والدكتور جواد علي والدكتور شيت نعمان وغيرهم الكثير. وحظي موضوع العراق (تاريخه وحضاراته وجغرافيته وآدابه ولغاته) باهتمام خاص في نشاطات المجمع العلمي الثقافية ومجلته المعروفة فضلاً عن جهوده في وضع المصطلحات. وعلى سبيل المثال حاضر الدكتور احمد سوسة فيه عن الري في العراق والدكتور مصطفى جواد عن الأدب العراقي في العصر المغولي. ونالت الكتب التي بحثت في العراق العديد من جوائز المجمع العلمي فكانت جوائزه لأجود كتاب لعامي ١٩٤٨-١٩٤٩ مثلا قد منحت إلى الدكتور جعفر خياط عن كتابه "إصلاح القرية العراقية" والى عبد الرزاق الحسني عن كتابه "تاريخ العراق السياسي" والى الدكتور عبد العزيز الدوري عن كتابه "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري".

رابعاً: في الصحافة العراقية

عند بدء الاحتلال البريطاني للعراق عام١٩١٤ صدرت صحف ومجلات جديدة مثل جريدة الأوقات البصرية عام ١٩١٥ ومجلة دار السلام عام ١٩١٨ بإدارة الأب أنستاس ماري الكرملي ومجلة النادي العلمي في الموصل ١٩١٩، وساهم في تحريرها صديق الدملوجي وحنا الخياط وفتح الله سرسم ورفائيل بطي ومجلة اللسان في بغداد عام ١٩١٩التي أصدرها علي رضا الغزالي، وكان مديرها المسئول أنطوان لوقا واحمد عزت الأعظمي، ودعت إلى الثورة ومقاومة الاحتلال البريطاني، وكتب فيها جميل صدقي الزهاوي ومحمد مهدي الجواهري وعبد الرحمن البناء وكاظم الدجيلي ومحمد الهاشمي وطه الراوي ورفائيل بطي وداود صليوا وعيسى رزوق ومحمد عبد الحسين ومحمود المدرس. وإثر اندلاع ثورة العشرين اصدر الشيخ محمد باقر الشبيبي جريدة الفرات الأسبوعية، وعدت حينها لسان حال الثورة إذ كانت تدعو إلى مقارعة الاحتلال البريطاني وتنشر مبادئ الثورة. وصدرت جريدة الاستقلال لمحمد عبد الحسين في النجف عام ١٩٢٠ وكانت لسان حال ثورة العشرين ومقاومة الاحتلال. وفي كانون الثاني ١٩٢١ صدر العدد الأول من الجريدة الرسمية للحكومة العراقية والتي أصبح اسمها عام ١٩٢٢ "الوقائع العراقية " وهي معنية بنشر القوانين والأنظمة والتعليمات الرسمية ولا زالت تصدر حتى يومنا هذا وهي تعد احد أهم مصادر الأرشيف القانوني للدولة العراقية الحديثة، وصدر في العام ١٩٢٣ أول مجلة نسوية في العراق باسم "ليلى" لتؤشر بداية للاهتمام الحديث بقضايا المرأة ونشاطاتها وأدبها.

لقد كان للصحافة الوطنية التي أظهرت التواصل والتلاحم بين فئات الشعب العراقي دور بارز في الحركة الوطنية العراقية طيلة النصف الأول من القرن العشرين لاسيما صحافة الأحزاب الوطنية كالحزب الوطني العراقي بقيادة محمد جعفر أبو التمن وصحيفة الأهالي التي انطلقت عام ١٩٣٠ بمقالات عن معنى الوطنية والتي عاودت الصدور مرة أخرى عام ١٩٤٦ كلسان حال الحزب الوطني الديمقراطي، وينطبق ذلك أيضاً على صحافة الحزب الشيوعي العراقي وحزب الاستقلال والحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب الشعب وحزب الأحرار. وأسهم في نمو حركة الصحافة

والنشر تأسيس المطابع وانتشارها في معظم مناطق العراق. فقد أسست مطبعة الحكومة عام ١٩١٧ ومطبعة العراق لرزوق غنام عام ١٩٢١ ومطبعة الاستقلال لعبد الغفور البدري عام ١٩٢١والمطبعة الحيدرية في كربلاء لمحمد كاظم الكتبي عام ١٩٢٢ ومطبعة الشعب في الموصل لعزيز إلياس ١٩٢٦ ومطبعة الهدى في العمارة لعبد المطلب الهاشمي عام ١٩٢٩ ومطبعة المعارف لعبد الكريم قدوري عام ١٩٣٠ ومطبعة الأهالي لعبد القادر إسماعيل عام ١٩٣١ومطبعة أم الربيعين في الموصل لإبراهيم الجلبي عام ١٩٣٢ ومطبعة زاري كرمانجي لحسين حزني مكرياني عام ١٩٣٥ ومطبعة جتين في السليمانية للحاج توفيق عام ١٩٣٧ ومطبعة التفيض لحسين علي العاني في بغداد عام ١٩٣٧. وكان لإنشاء دار الإذاعة العراقية عام ١٩٣٦ وتلفزيون بغداد عام ١٩٥٦، وهو أول تلفزيون وطني ينطق في منطقة الشرق الأوسط، أصداء ودور في بناء المدرسة الإعلامية العراقية المسموعة والمرئية وإيصال الصوت العراقي إلى كل الفضاء الوطني والإقليمي وأتاح ذلك أيضاً الفرصة أمام الطاقات والإبداعات الوطنية للانطلاق والنمو.

خامساً: الحركة الأدبية

شهد العراق في النصف الأول من القرن العشرين حركة أدبية متنامية ومتطورة تلاقحت فيها العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية. ويعد شهر تشرين الأول من عام ١٩١٠ الميلاد الأول للقصة العراقية القصيرة بظهور قصة فتاة بغداد لرزوق عيسى الذي نشرها في مجلته "خردلة العلوم" وعند دخول القوات البريطانية المحتلة العراق عام ١٩١٤ كان الأدب لاسيما الشعر سلاحاً من أسلحة المقاومة الوطنية لهذا الاحتلال. إذ ألقى الشعراء القصائد المنددة به ومنهم محمد مهدي البصير وتوفيق المختار وعثمان الموصلي وعبد الرحمن البناء ومحمد عبد الحسين وحبيب العبيدي. وساهم الشعر في إلهاب الحماس دعماً لثورة العشرين ويمثل محمد مهدي البصير (١٨٩٥– ١٩٧٤) وهو من مؤسسي حزب حرس الاستقلال عام ١٩١٩وعضو الحزب الوطني العراقي بقيادة جعفر أبو التمن عام ١٩٢٢ أنموذجا

للشعر وللشاعر الوطني لذا لقب بشاعر ثورة العشرين، وحينما ترك البصير العمل السياسي اختار جامعة مونبليه في فرنسا لإكمال دراسته للدكتوراه خلال الفترة ١٩٣١ – ١٩٣٧ فحصل من هذه الجامعة على الدكتوراه في الأدب الفرنسي عن الشاعر كورنيه بدرجة الشرف الأولى عام ١٩٣٧ وعمل أستاذا للأدب في جامعة بغداد.

وفي العشرينات من القرن المنصرم كانت بداية التنظيمات اليسارية مع حسين الرحال عام ١٩٢٤ وأول العناصر الماركسية في العراق في تفكير جماعة أدبية هي جماعة الأفكار الجديدة التي ضمت محمد سليم فتاح ومصطفى علي وعوني بكر صدقي وعبدالله جادو. وجاءت مقالات وقصص محمود احمد السيد وذنون أيوب وأنور شاؤول وعبد الحق فاضل وعبد المجيد لطفي اجتماعيه ذات نزعة سياسية. ولقد بلغت الدعوات المتمثلة في الفن للحياة أو للمجتمع أوجها في الثلاثينات من القرن العشرين. فقد حملت الصحف المقالات التي مثلت هذه الدعوة التي ترمي إلى أن يكون الأدب واقعياً وبعيداً عن الذاتية لمحمود أحمد السيد وعبد المجيد لطفي وأنور شاؤول ومحمد رضا الشبيبي تحولاً كبيراً إزاء قضية الفن والمجتمع بل حصل تطورٌ آخر مع جرجيس يوسف أعمق كثيراً فلم يشأ أن يرضى بالأدب الذي يصف الواقع الفاسد بل ليحل محله واقع جديد سليم. ولعل اللغة القصصية لذنون أيوب تعد نقله في القصة العراقية لأنصافها قضايا الشعب وجرأتها في تعرية السلطة وكان لها الأثر الجارف في الحياة الفكرية والأدبية. وشهدت الأربعينات من القرن الماضي ثورة أدبية وطنية مهمة في العراق تمثلت بالحركة الشعرية الحديثة كان لها انعكاسات وأصداء في الساحة الشعرية في البلاد العربية والتي مثلها كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وبلند الحيدري وعبدالله كوران(١٩٠٣–١٩٦٩) الشاعر الكردي الذي كرس نفسه للنضال الوطني وكتب في مطلع الخمسينات من غياهب السجون في بغداد (يا أخي العربي قد جرعنا المرارة من كأس واحدة فأصبحت أخوتنا عسلاً شهياً).

وعرفت الحركة الروائية العراقية النهضة والانطلاق في أربعينات القرن العشرين تمثلت بمجموعة متميزة من الروائيين في مقدمتهم عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي وغائب طعمه فرمان وحسين مردان وجميل حمودي. ويعد عبد الملك نوري (١٩٢١–

١٩٩٧) رائداً للقصة العراقية الحديثة، إذ فازت قصته "فطومة" عام ١٩٤٨ بالجائزة الأولى لمجلة الأديب اللبنانية. ويعد عبد الملك نوري مؤسس الحداثة القصصية في الخمسينات في العراق وأقام في باريس عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ وترجمت له قصص إلى اللغة الفرنسية وكتب مقدمة مختارات القصص المترجمة المستشرق الفرنسي جاك بيرك حيث التقى به عبد الملك نوري أثناء إقامته في باريس. ونشر عبد الملك نوري مجموعة قصصية باسم رسل الإنسانية عام ١٩٤٦ ونشيد الأرض عام ١٩٥٤ وقصص قصيرة ومسرحية خشب ومعمل عام ١٩٧٢ وسعى عبد الملك نوري إلى خلق تيار أدبي عراقي وإيجاد قصة عراقية بكل معنى الكلمة. كما ترجمت لفؤاد التكرلي قصص إلى اللغة الفرنسية وكان يقول: إن استكمال الأقصوصة العراقية للمواصفات الفنية العالية لا يمكن أن يرفعها إلى المستوى العالمي إلا إذا بنيت على التراب العراقي.. فلا جدوى من أقاصيص دون هوية، ولا يكفي أن تكتب اسماً عراقياً على دمية مستوردة من الخارج أو من الخيال. وكان للجمعيات والنوادي والروابط الأدبية دور كبير في نشر الأدب العراقي الجديد وتطويره واحتضان الكفاءات الأدبية العراقية الصاعدة مثل جماعة الأفكار الجديدة التي سبق الإشارة إليها والنادي الأدبي في الموصل (١٩١٦)، وجمعية إخوان الأدب في بغداد (١٩٢١)، وجمعية الرابطة الأدبية في النجف (١٩٣٢)، ومنتدى النشر في النجف (١٩٣٥)، وجمعية الرابطة الثقافية في بغداد (١٩٤٣)، ونوادي بغداد (١٩٣٣) والعلم (١٩٣٤) والمثنى (١٩٣٥) والمهلب في البصرة (١٩٣٧) ونوادي اجتماعية كانت بمثابة فضاءات ثقافية وأدبية مثل نادي العلوية ونادي المنصور.

سادساً: الحركة الفنية العراقية

أ– الفن التشكيلي

يشير شاكر حسن آل سعيد إلى أن الفن التشكيلي المعاصر بدأ في العراق في مطلع القرن العشرين. وشهد عام ١٩٢٢ مهرجان سوق عكاظ الذي شارك فيه رسامون وأدباء وشعراء. وبدأت مواهب فنية بالظهور منهم عبد القادر الرسام وعبد

الكريم محمود والرسام محمد سليم الذي أصبح أولاده وبناته من أشهر فناني العراق وهم سعاد وجواد ونزار ونزيهة. وكانت مرحلة العشرينات قد شهدت نوعاً من الاهتمام بالفن التشخيصي. وتطور الفن العراقي التشكيلي تقنياً وأسلوبياً في الثلاثينات من القرن المنصرم. وفي عام ١٩٣٢ افتتح المعرض الصناعي الزراعي الذي شمل عرض أعمال فنية ولوحات لأكرم شكري منها لوحة (ضباب لندن) وهي من مقتنيات متحف الرواد، وعرض فيه كل من الفنانين فائق حسن وحافظ الدروبي وجواد سليم رغم صغر سنهم آنذاك لوحات إلى جانب لوحات عبد القادر الرسام وفتحي صفوت وآخرين. وكان هذا المعرض مناسبة لعرض القابليات الفنية العراقية. وابتداء من آواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات سارع الشباب من الفنانين العراقيين إلى دراسة الفن خارج العراق، فدرس عاصم حافظ الفن في باريس عام ١٩٢٨، وسافر أكرم شكري إلى بريطانيا وقاسم ناجي إلى ألمانيا وفائق حسن إلى البوزار في باريس في المدة ١٩٣٥ إلى ١٩٣٨، واختار حافظ الدروبي وعطا صبري وجواد سليم إيطاليا لدراسة الفن عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨. وتأسس معهد الموسيقى عام ١٩٣٦ الذي أصبح اسمه معهد الفنون الجميلة عام ١٩٤٠، وافتتح فيه فرع الرسم وقسم النحت عام ١٩٣٩ و ١٩٤١. وبدأت الجماعات الفنية في نهاية الثلاثينات بالظهور منها الجماعة البدائية society primitive التي قادها فائق حسن ومجموعة من الفنانين. واحتضن المتحف العراقي في هذه المرحلة النهضة الفنية التشكيلية، إذ تشكلت أول نواة لهذه النهضة المؤلفة من الفنانين أكرم شكري (وكان مدير مختبر في المتحف العراقي) وحافظ الدروبي وعطا صبري وجواد سليم وعيسى حنا وحميد المحل، وكان كل هؤلاء يكبرون بعض رسوم الواسطي (وهو من أشهر رسامي العهد العباسي المتأخر)، ويعدون رسوماً عن العراقيين من الحضارات القديمة وتصليح المنحوتات الأثرية مما يؤكد أن التكوين العراقي هو تكوين متواصل عبر الحضارات السومرية والأكدية والبابلية والآشورية والعربية والإسلامية وحتى يومنا هذا.

وترسخت الأسس المدرسية في الفنون التشكيلية في العراق في أربعينات القرن العشرين بفضل معهد الفنون الجميلة وتأسيس جمعية أصدقاء الفن لأكرم شكري

وعيسى حنا وكريم مجيد عام ١٩٤١، والتحق بهم فيما بعد عطا صبري وجواد سليم. واتخذ الفنانون العراقيون من (كافيه سويس) في شارع الرشيد ببغداد ملتقى لهم يرتادونه في أوقات الفراغ حيث يحتدم النقاش في مجالات الفن الحديث. وصدرت مجلة الفكر الحديث في منتصف الأربعينات وهي مجلة متخصصة في الفن التشكيلي وكان رئيس تحريرها الفنان جميل حمودي. وفي هذه المدة أيضاً التقى الأدب بالفن في العراق حينما تأسست جماعة الوقت الضائع في الأربعينات من القرن الماضي وكانت تضم أدباء ورسامين وموسيقيين، وأصدرت الجماعة منشورات ومطبوعات منها ديوان خفقة الطين لبلند الحيدري عام ١٩٤٦، ومجموعة قصصية بعنوان (أشياء تافهة) لنزار سليم، ونشرة تضمنت آراء جواد سليم وصوراً لأعمال فنية لخالد الرحال.

واندفعت الحركة الفنية في خمسينات القرن العشرين بعد اقترانها بالتطورات السياسية والاجتماعية التي شهدها المجتمع العراقي آنذاك، حيث تغير عام ١٩٥٠ اسم الجماعة البدائية التي سبق ذكرها إلى اسم جماعة الرواد لفائق حسن، وتأسست عام ١٩٥١ جماعة بغداد للفن الحديث. وشهدت هذه الحقبة الزمنية إقامة معارض فنية عديدة لإسماعيل الشيخلي عام ١٩٥٢، وجواد سليم ١٩٥٣ و،شاكر حسن آل سعيد ١٩٥٤. وشهد عام ١٩٥٤ تشكيل جماعة فناني كركوك، وعام ١٩٥٥ تشكيل جماعة الانطباعيين العراقيين، وعام ١٩٥٦ جمعية الفنانين العراقيين بمبادرة من الفنان الدكتور خالد الرحال (والحاصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ الفن من جامعة مونبليه في فرنسا)، وضمت الجمعية محترفين وهواة منهم جبرا إبراهيم جبرا ونوري الراوي ونزار سليم وخالد القصاب (الطبيب والرسام)، وقام نوري الراوي وكاظم حيدر بمحاولة لتأسيس جماعة الفن المعاصر. وظهرت في الخمسينات مجلات فنية عقب صدور مجلة الفكر الحديث في أواسط الأربعينات ومنها مجلة الفنان ومجلة الفن الحديث، واجتذبت النوادي الاجتماعية مثل نادي العلوية ونادي المنصور الفنانين عن طريق تنظيم معارض ومحاضرات لهم فيها.

ب– المسرح العراقي

إن أقدم نص مسرحي حديث في العراق، كما يذكر أحمد فياض المفرجي، يعود إلى عام ١٨٩٣ وهو مسرحية "لطيف وخوشابا" التي ترجمها عن اللغة الفرنسية نعوم فتح الله سحار. وأسست بلدية بغداد في العام ١٩١٣ مسرحاً للرقص والغناء في مكان قريب من باب المعظم لكنه أغلق عند اندلاع الحرب العالمية الأولى. وظل النشاط المسرحي حتى عام ١٩٢١ قاصراً على المدارس والنوادي الاجتماعية والجمعيات الثقافية في بغداد والموصل والبصرة. وتأسست أول جمعية للتمثيل في أوائل العشرينات لمحمد خالص الملا حمادي باسم جمعية التمثيل العربي. وفي نيسان عام ١٩٢٧ قدم الفنان حقي الشبلي (الذي أصبح فيما بعد رائد المسرح العراقي) طلباً إلى وزارة الداخلية لتأسيس فرقة فنية باسم "الفرقة التمثيلية الوطنية"، وورد في أهدافها تعضيد المنافع الخيرية وعرض أجمل الروايات الأخلاقية والأدبية التي تبث روح الإخلاص على الشعب العراقي. ونصت المادة الأولى من النظام الأساسي للفرقة على أن الغاية من تأسيسها ممارسة التمثيل ونشر الروح الوطنية والإصلاح الاجتماعي. وأشارت المادة الثانية إلى أن الفرقة تتوسل إلى تحقيق أغراضها بتمثيل الروايات الوطنية والاجتماعية والتاريخية، وضمت الفرقة فنانين مسرحيين من مختلف فئات المجتمع العراقي. وبفضل هذه الفرقة صعدت أول امرأة عراقية على المسرح وهي الفنانة مديحة سعيد عام ١٩٢٩. وتسنى للفنان حقي الشبلي في الأعوام ١٩٣٦–١٩٣٩ دراسة التمثيل في فرنسا، وقد حاول إبعاد الفن عن السياسة، وأكد على الإنسان والولاء للحضارة العراقية. وتأسست في عقد الثلاثينيات من القرن الماضي فرق تمثيلية عدة منها الفرقة التمثيلية العراقية للفنان يحيى فائق، وفرقة بابل التمثيلية للفنان محمود شوكت، وجمعية أنصار التمثيل للفنان عبد الله العزاوي، وتوالى ظهور الفرق المسرحية في الأربعينات والخمسينات مثل الفرقة الشعبية للتمثيل عام ١٩٤٧ وفرقة المسرح الحديث عام ١٩٥٢ وفرقة المسرح الحر عام ١٩٥٤. أما بالنسبة للسينما في العراق فقد وصلت أول الأفلام فيه عام ١٩٠٩، وشيدت أول دار للعرض السينمائي عام ١٩١١ في منطقة العبخانه في بغداد، وشيدت سينما الوطني عام ١٩٢٧ تلتها دور سينما عديدة في بغداد وفي مختلف مدن العراق. وأسست أول

شركة أفلام عراقية عام ١٩٤٣ وهي شركة أفلام بغداد المحدودة، ثم شركة أفلام الرشيد وهي شركة عراقية مصرية كان لها الفضل في إنتاج أول فلم عراقي مصري وهو "ابن الشرق" عام ١٩٤٦. وبدأ التفكير بتأسيس فرقة سيمفونية عراقية بُعيد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ثم أنشأ معهد للموسيقى عام ١٩٣٦ الذي أصبح اسمه معهد الفنون الجميلة كما أشرنا سابقاً. وتأسست معاهد أهلية للموسيقى بعد إقبال الشباب العراقيين على تعلم الموسيقى ومنها معهد جميل بشير للموسيقى في الموصل عام ١٩٣٧، ومعهد منير بشير في بغداد عام ١٩٤٧، ومعهد سعيد شابو في بغداد عام ١٩٥٧.

سابعاً: المجالس والمنتديات

وإذا ما انتقلنا إلى فضاءات أخرى كان لها دور مشهود في نشر الوعي الوطني والثقافة العراقية وجسدت بنشاطاتها قيم الحوار والتسامح ورفدت الذاكرة الوطنية العراقية بشواهد وأمثلة إيجابية في التواصل والتلاحم الوطني، تبرز أمامنا المجالس والمنتديات العراقية كأحد هذه الفضاءات. فقد عرف العراق وفي الكثير من مدنه هذه المجالس منذ مطلع القرن العشرين حيث انبرت بعض الشخصيات الاجتماعية والفكرية والأسر العراقية المعروفة إلى فتح أبواب بيوتها لاستقبال العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء والشخصيات السياسية وأصبح ذلك تقليداً أسبوعياً أو شهرياً في أحيان أخرى. وبلغ عدد هذه المجالس أكثر من أربعين مجلساً منها على سبيل المثال مجالس الكرملي والشبيبي والدفتري ومناحيم دانيال والشهرستاني والجادرجي والأثري والجزائري ومحي الدين والمدرسي والآلوسي ويعقوب سركيس وداود سمرة ومير بصري وأنور شاؤول وآل كبة وآل أبو التمن وآل النقيب وآل الشواف وآل الطبقجلي وآل غنيمة وآل مسكوني وآل السوز وآل الأورفلي وآل الآلوسي والأعظمي والقصاب والخليلي والمخزومي والعمري والهلالي وبطي والرصافي والزهاوي والشعرباف والدجيلي، فضلاً عن المنتديات مثل منتدى النشر في النجف ومنتدى بغداد الثقافي ومنتدى أبو حنيفة ومنتدى الرواد.

ويعد الأب أنستاس ماري الكرملي رائداً في هذا الميدان بمجلسه المعروف الذي كان يعقد يوم الجمعة من كل أسبوع. والأب الكرملي من أبرز المدافعين عن اللغة العربية وأصدر عام ١٩١١ م مجلة لغة العرب التي تناولت كل ما يتعلق باللغة العربية وبآدابها وبالمجتمع العراقي. وكان الأب الكرملي المنحدر من أب لبناني وأم عراقية والمولود في ٥ آب عام ١٨٦٨م في بغداد والمتوفي فيها عام ١٩٤٧م مختصاً باللغة العربية وآدابها، وكان له مجلس ثقافي معروف يعقد أسبوعيا ويحضره العديد من العلماء والمثقفين ورجال الفكر على مختلف دياناتهم وقومياتهم واتجاهاتهم الفكرية والسياسية منهم عباس العزاوي وكوركيس عواد ومصطفى جواد وكاظم الدجيلي ويوسف يعقوب مسكوني، ومن أشهر أقوال الأب الكرملي "وجدت في اللغة العربية الهوية والوطنية" مع أنه كان يتقن لغات أجنبية عدة من بينها الفرنسية والإنكليزية والتركية. وضاقت السلطة في العهد العثماني ذرعاً بالأب الكرملي حيث عدته داعية قومية يهدد وجودها فعمدت إلى نفيه من بغداد إلى الأناضول للحيلولة بينه وبين أفكاره وثقافته ولم يعد إلى العراق إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، واستمر مجلس الأب الكرملي الأدبي والثقافي حتى عام ١٩٤٤م إذ توقف أثر مرضه في هذا العام حتى وفاته بعد ثلاث سنوات. واستمر بعض هذه المجالس السالف ذكرها والتي عرفها النصف الأول من القرن العشرين لعقود عديدة وتوقف أيضا قسم منها، واستمر بعضها مستمر طويلا كمجلس الشعرباف الذي أسس عام ١٩٥٤م، وظهرت مجالس جديدة عاودت النشاط الثقافي والأدبي فيما بعد حتى وصل عددها في بغداد إلى عشرين مجلساً. وقد امتازت المجالس العراقية من الجيل الأول على وجه الخصوص بتنوع روادها وتعددهم، واهتمت بالأدب والشعر والثقافة والحضارات العراقية، وكانت بمثابة مدارس ومنتديات فكرية وأدبية وسياسية تتداول فيها الآراء والأفكار المتعددة دون قيود، وأسست لتقاليد جميلة متميزة بنقلها العلم والأدب والحوار إلى البيوت العراقية حتى أصبحت جزءاً عزيزاً من تقاليد الأسر العراقية المعروفة خاصة والمجتمع العراقي عامة.

ثامناً: المقاهي

وأخيرا تبرز المقاهي في العراق كفضاءات ثقافية وأدبية عرفتها الحياة الوطنية العراقية، ويقال أن أقدم المقاهي في العراق ظهرت في بغداد عام ١٥٩٠ مجاورة لخان جغان وكانت تعزف فيها الموسيقى وتعرض العاب التسلية. وظهرت مقهى حسن باشا عام ١٩٠١ قرب سوق السراي في بغداد ومقهى المميز بجوار المدرسة المستنصرية، وكانت تقدم فيها المقامات الغنائية البغدادية. وتأسست عام ١٩١٧ في شارع الرشيد ببغداد مقهى حملت اسم الشاعر العراقي المعروف جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦)، وحينما زار الشاعر الهندي طاغور العراق في ثلاثينيات القرن العشرين التقى بالشاعر الزهاوي في هذه المقهى. وأصبح من أشهر رواد مقهى الزهاوي الشاعر محمد مهدي الجواهري والدكتور علي الوردي عالم الاجتماع المعروف وبدر شاكر السياب رائد الشعر الحديث. وأطلق اسم الشاعر معروف الرصافي (١٨٨٧- ١٩٤٥) على مقهى في محلة السفينة في الأعظمية ببغداد إذ كان الشاعر المعروف يرتاد هذه المقهى. وكان من رواد مقهى (الواق واق) الذي شيد في أربعينيات القرن الماضي في حي الأعظمية ببغداد الفنان جواد سليم والشاعر بلند الحيدري والشاعر حسين مردان . وكانت كل من المقهى البرازيلية وكافيه سويس اللتان أنشأتا في المدة نفسها مكاناً يرتاده الأدباء والشعراء والفنانين ومنهم جبرا ابراهيم جبرا وجواد سليم وعبد الملك نوري وفؤاد ونهاد التكرلي وشاكر حسن آل سعيد وقحطان المدفعي، في حين كانت مقهى أم كلثوم (على اسم المطربة المصرية المعروفة) والتي شيدت عام ١٩٥٢ قرب الميدان في بغداد ملاذاً للفنانين حقي الشبلي وابراهيم جلال ومحمد القيسي وجواد سليم وفائق حسن وخالد الرحال وكاظم حيدر. وكانت هناك إلى جانب هذه المقاهي مقهى المربعة ومقهى البرلمان ومقهى عارف أغا ومقهى حسن العجمي ومقهى الشابندر ومقهى الشط ومقهى النعمان ومقهى البيروتي ومقهى الآداب ومقهى زناد دروش ومقهى المعقدين ومقهى البلدية التي كان يلتقي فيها الكتاب والباحثون والفنانون من المطربين ومنهم محمد القبنجي ويوسف عمر وعباس جميل وداخل حسن وحضيري أبو عزيز. ويشير حسين الكرخي إلى أن الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ يذكر وجود ٦٢ مقهى في

شارع الرشيد ببغداد فقط لا زال قسم منها قائما حتى اليوم مثل مقهى الزهاوي ومقهى حسن العجمي. ولا يقتصر وجود مثل هذه المقاهي التي يرتادها الأدباء والشعراء والفنانون على العاصمة بغداد بل عرفت الكثير من المدن العراقية مثل هذه المقاهي نذكر منها على سبيل المثال مقهى مجكو(مجيد) في ابريل التي تأسست عام ١٩٤٠، وكانت تقرأ فيها المقامات الكردية المعروفة، وأصبحت ملتقى للمثقفين والأدباء الكرد مثل كريم دشتي وإسماعيل البرزنجي وكريم كاكا، وعدت جزءاً من الذاكرة الثقافية لأربيل وفيها مكتبة ولا زالت هذه المقهى قائمة حتى اليوم. وفي طرف آخر من العراق –في ثغر العراق– مدينة البصرة ذاتها هنالك مقهى الخليج التي تطل على شط العرب وكان يرتادها الأدباء والشعراء منهم الشاعر بدر شاكر السياب والشاعر محمود البريكان والروائي مهدي عيسى الصقر والروائي محمود عبد الوهاب. وكانت مقاهي كركوك بمثابة أندية ثقافية وسياسية مثل مقاهي احمد آغا والمجيدية ومقهى عرب وكان يرتادها شعراء وأدباء وهم سركون بولص وجليل القيسي وجان دمو. وشهدت مقهى أبو عيسى التي أنشأت في مدينة العمارة عام ١٩٥٦ إلقاء قصائد للوركا وحكايات نجيب محفوظ وماركيز وألف ليلة وليلة ومناقشة الأفكار الماركسية اللينينية. وكانت مقهى أبو احمد في الناصرية ومقهى عزران البدري التي أسست عام ١٩٣٨ بمثابة منتديات أدبية شهدت حوارات ثقافية ونقاشات وإلقاء القصائد الشعرية وملتقى للفنانين والأدباء أمثال عبد الرحمن مجيد الربيعي وعزيز عبد الصاحب وعبد الجبار العبودي ومحسن الخفاجي وغيرهم. ومما يلفت النظر اتسام أجواء المقاهي الأدبية والثقافية خلال النصف الأول من القرن العشرين بالتعددية والتنوع سواء في روادها أو في نقاشاتها، ولم تنعكس الاختلافات السياسية والفكرية على أجواء هذه المقاهي بل ظلت منفتحة على الجميع حتى أواخر الخمسينيات من القرن العشرين حينما انقسم الشارع السياسي على نفسه وانعكس ذلك على أغلب تلك المقاهي وأصبح لكل طيف سياسي مقاهيه الخاصة به. ويتبين لنا مما تقدم أن للحياة الوطنية بصمات قوية في الذاكرة التاريخية العراقية التي تزخر بالكثير من الشواهد والأمثلة والأحداث والرموز والمدارس الفكرية والعلمية والفنية والأدبية المعبرة عن هوية وطنية وثقافية عراقية

متميزة مما يؤكد أن هذه الهوية العراقية ظاهرة ملموسة عبرت عن ذاتها بذاتها عبر أحداث وانعطافات وعلاقات تفاعلية بين الأرض والتاريخ والأدب والفن والسياسة والعلوم والمشاعر والأحاسيس..

المصادر

١. عبد الرزاق الحسني – تاريخ الصحافة العراقية – مطبعة العرفان– بيروت .١٩٧١

٢. عبد الرزاق الحسني – تاريخ الأحزاب العراقية – الأبجدية للطباعة والنشر– بيروت ١٩٨٣.

٣. د.يوسف عز الدين – تطور الفكر الحديث في العراق – مطبعة أسعد – بغداد ١٩٧٦.

٤. .يوسف عز الدين – الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه – مطبعة أسعد – بغداد ١٩٦٠.

٥. رفائيل بطي – صحافة العراق – مكتبة رفائيل بطي – بغداد – ١٩٨٥.

٦. د.فاضل حسين – تاريخ العراق المعاصر – جامعة بغداد – بغداد ١٩٩٠.

٧. د.فوزي رشيد – طه باقر – حياته وآثاره – دار الشؤون الثقافية – بغداد ١٩٨٧.

٨. د. عبد الإله أحمد، نشأة القصة وتطورها في العراق ١٩٠٨– ١٩٣٩مطبعة شفيق – بغداد ١٩٦٩.

٩. د. عبد الإله أحمد – الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية – وزارة الأعلام – بغداد– ١٩٧٧.

١٠. مجموعة مؤلفين – حضارة العراق – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٨٥.

١١. تشارلز تريب – صفحات من تاريخ العراق الحديث – الدار العربية للعلوم – ترجمة زينة جابر إدريس – بيروت ٢٠٠٦.

12. Eric Davis, Memories of state: politics, history, and collective identity in Iraq, Berkeley and London: university of California Press. 2005.

١٣. مجلة سومر – مديرية الآثار – الجزء الثاني – المجلد الثاني – بغداد – تموز ١٩٤٦.

١٤. مجلة المجالس البغدادية – العدد بسم الله – بغداد – تموز ٢٠١٠.

١٥. صحيفة البينة – العدد ٥٧٩ – بغداد – ٢٣ كانون الثاني ٢٠٠٨.

١٦. صحيفة المدى:

أ. ملحق عراقيون–حقي الشبلي– العدد ١٦٦٦–٣ كانون الأول ٢٠٠٩.

– ملحق عراقيون–محمد مهدي البصير–العدد ١٧٠٤–٢١ كانون الثاني ٢٠١٠.

– ملحق عراقيون– عبد الرزاق الحسني–العدد ١٨١٨– ١٠ حزيران ٢٠١٠.

– ملحق عراقيون–عبد الله كوران– العدد ١٨٣٠–٢٤ حزيران ٢٠١٠.

– ملحق عراقيون–عبد الملك نوري–العدد ١٨٦٩–١٥ آب ٢٠١٠.

ب. ملحق ذاكرة عراقية: العدد ١٧٤٥– ١٥ آذار ٢٠١٠.

– ملحق ذاكرة عراقية: العدد ١٧٩٩– ١٧ مايس ٢٠١٠.

- ملحق ذاكرة عراقية: العدد ١٨٣٣- ٢٨ حزيران ٢٠١٠.
- ملحق ذاكرة عراقية: العدد ١٨٧٣- ٩ آب ٢٠١٠.
- ملحق ذاكرة عراقية: العدد ١٨٨٩- ٢٥ آب ٢٠١٠.